Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يـتـغـابى لهـم ولـيس لـموقٍ بـل لـلبٌّ يفـوق لُـبَّ الـلبيـب
لـينٌ عِـطْفـه فـإن رِيـم مـنـه مَكْسـر العـود كـان جِـدُّ صليب

فهو يمدحه بالذكاء وحسن البديهة والنظر الثاقب ، دون إبطاء فى الرأى أو ندم يلحقه ، وهو حازم لبيب بالفطرة ، يتغابى قصداً وسيد القوم المتغابى ، ويبدو لينّ الملمس وهو صلب العود صلابة شديدة . ومصدر هذا الجانب فى مديحه بدون ريب قدرته الخارقة على تحليل المعانى واستقصائها ، وكانت له قدرة خارقة أيضاً على النفوذ إلى كثير من الأخيلة المبتكرة من مثل قوله فى حُسَّاد صاعد مصوراً مجده الوطيد :

وضِـدٌّ لكم لازَالَ يَسْفُـلُ جَـدُّهُ ولا بَـرِحَتْ أنفَـاسُـهُ تَتَصَعَّـدُ
ولَـوْ قَاسَ بـاسْتيجَـابِكُمْ مـامُنِحْتُمُ لأَطْفَـأَ نـاراً فى حَشَـاه تَـوَقَّـدُ
وآنَقُ من عِقْـد العَقِيلةِ جيـدُهَـا وأحسنُ من سِـرْبالها المُتَجَـرَّدُ(٩٠)

وكانت لديه قدرة بارعة على عرض أخيلته فى مثل هذه الأقيسة ، فصاعد يستحق مجداً عظيماً فوق ما مُنح من مجد الوزارة الذى أسبغ عليه بفضل حزمه وحسن تدبيره ، وما مثل الوزارة بالقياس إليه إلا مثل العقد فى الجيد الجميل جمالا يفوقه ، بل مثل الثوب يضفى على الجسد الفاتن . وقد يجمع بين جمال الخلقة والأخلاق فى بعض ممدوحيه وينفذ إلى هذه الصورة البديعة ، يقول :

كـلُّ الخصال التى فيكم محاسنكم تشـابهتْ منكم الأخـلاق والخِلَقُ
كـأنكم شجـر الأتـرجّ طـاب معـاً حَمْلاً ونَوْراً وطاب العود والورق(٩١)

فهم مثل شجر الأترج يطيب عـوده وورقه وزهـره وثمره ، طيب عـلى طيب ، وكثيراً ما تلقانا مثل هذه الأخيلة الدقيقة فى مديحه كقـوله فى بعض ممدوحيه :

أوفَى بـأعـلى رتبـةٍ وتـواضعتْ آلاؤه فـأحـطْن بـالأعـنـاقِ
كـالشمس فى كبـدِ السـماءِ محلُّهـا وشعـاعُهـا فى سـائـرِ الآفـاقِ(٩٢)

---

(٩٠) زهر الآداب ١ : ١٨٣ .
(٩١) المصدر نفسه ٤ : ١٤٦
(٩٢) ديوان ابن الرومى ٤ : ١٦٦٦ .